



في وسط بقعة دمشقية مباركة يرقد على جنباتها بعض أكرم الخلق وأطهرهم، فإن قصدت الأنبياء فمنهم يحيى - عليه السلام - (يوحنا المعمدان)، وإن أردت كراماً منهم صلاح الدين، وإن عنيت أبراً أطهاراً فهم بعض من آل بيت النبوة الكرام، وإن كنت ممن يحب الصالحين ففيها مقام سيدى عامود الذي حمل المكان اسمه قبل أن يحمل حديثاً مسمى (الحريقه). وإن أردت الكل معاً أصلاً وفصلاً وفخراً، فهنا كان التاريخ ومن هنا عبر العظاماء وشهودنا أحياء، من الأنبياء كرام إلى رجالات عظام إلى مباني ومقابر وآثار وأسواق ومساجد وكنائس وأحياء.

من سيدى عامود الحي الدمشقي العريق (الحريقه)، وعند ظهيرة يوم الخميس 17 / شباط / فبراير 2011م، انطلقت شرارة الغضب السوري عندما دخل شاب السوق يبحث عن مصف لسيارته، ولم ير فيه شرطي المرور إلا حيواناً، فقال له بأديبه الجم: امش يا حمار..! فرد عليه الشاب بنفس لغته المهنية التي أغضبته، فضربه بعصا المرور التي يحملها، وهو ما دفع بالشاب إلى رد الإهانة، غير أن تدخل اثنين من الشرطة الموجودين في المكان ومشاركتهما في ضرب الشاب حتى إدمائه بشكل وحشي مهين، أشعل غضباً غير متوقع. فاستغاثة الشاب المدمى عماد نسب وهو ابن أحد أصحاب المحلات التجارية في المنطقة بمن حوله، وصرارخه أدى إلى تجمع المارة والمتسوقين والتجار الذين أغلقوا محلاتهم، ليغدو الأمر ظاهرةً عفوية قدّرت بأربعة آلاف، استمرت ثلاثة ساعات، وانطلق فيها للمرة الأولى نداء الثورة السورية الأشهر والأجل: الشعب السوري ما بينزل.

حضور وزير الداخلية بنفسه على غير العادة، وتدخله ووعده بمحاسبة الشرطة، وأخذه الشاب العشريني معه، أنهى المسألة فيما خيل إليهم، ولاسيما عندما ختم حضوره بسؤال المتجمهرين: (يعني) أنتم متظاهرون..؟ وقيل له: أبداً.. لا..! ومع ذلك، فقد تبع التظاهرة يوم الأربعاء التالي 23 / شباط وقوف أحد العاملين في السوق في وضح النهار في منتصف ساحة الحريقه محتجاً صامتاً، ورافعاً لافتةً كتب عليها: طفح الكيل يا يشار أنقذنا من العصابة.

وللذكرى، فإن ثورات الربيع العربي كانت حتى تاريخه مستمرة في اليمن، وإنما انتهت بهرب ابن علي في تونس، وتنحى مبارك في مصر، في حين أن الثورة الليبية كان قدر انطلاقتها الملتهبة مع تظاهرة الحريقه الدمشقية في يومٍ ووقت واحد. ونشرير هنا أيضاً إلى أن كل ما كتب وقيل في ذاك الوقت في تبنيه النظام السوري وتحذيره باعتبار تركيبته والأنظمة المتهاوية واحدة ومتقاربة، وفي دعوته لتدارك أمره بالإصلاح والتغيير الفوري والعاجل كان بلا فائدة البتة أمام قناعته الضلالية والعقيمه أن حالته بالمقاومة والممانعة عصية حتى على احتمال امتداد الاضطراب السياسي، وأنه غير عن تونس

ومصر. ولكن لم تأخذ المسألة أكثر من أسبوعين ثلاثة حتى خرجت مظاهرة درعا في 15/ آذار، لتوّكّد عمق قناعات النظام المستبد المتأله وفساده، وزاد في آثار الانفجار الشعبي وامتداده صلف الطغمة المتسلطة وغرورها الذي جعل تدميرها في تدبّرها.

إن ما حصل في سيدي عامود الحريقة قبل عام، وتوهم البعض أنه أنهى مظلومية الشاب الذي ضرب وأهين أبشع أنواع الإهانة، وعمى قلوب وعقول عتاولة النظام وجلاوزته عن أن المسألة أعظم من أن تكون ظلامة فردٍ، وأكبر من مكانٍ اسمه الحريقة، بل هم ملaiين السوريين في دوامة الظلم والقمع والامتهان والتجويع على امتداد الوطن.

إن تظاهرة الحريقة التي انطلقت بشعاراتها الأخلى والأجمل معطرة بروائح الياسمين الشامي، وما خافه وزير الداخلية منها، فهي قد كانت وقد فاتتهم بعدها القطار، لتتوالى بعدها المظاهرات السلمية تباعاً، وتزداد مع قمع النظام وتوحشه في القتل وسفك الدماء قوة وامتداداً على أرض البطولات حتى بلغ عددها 650 مظاهرة في يوم الجمعة السابقة المسمى: جمعة روسيا تقتلنا. وهو رقم مفاده واضح، أن حكم مافيا القمع والقتل في سوريا قد سقط وانتهى إلى الأبد. فقد قضي بالحق بين النظام المتوحش وبين شعبه الذي صبر عليه أكثر من أربعين عاماً، وقيل الحمد لله رب العالمين.

المصدر: ورد وشك

المصادر: